إضاءة

بدوي الجبل عملاق الكلاسيكية المعاصرة

يقول أدونيس في شهادة له عن بدوي الجبل :

حين يموت شاعر يستيقظ في العالم شيء كان نائماً . بل يشعر بعضنا أن أشياء كثيرة في ذاكرتهم وحياتهم، تسطع كما أنها تولد للمرة الأولى. كأننا بموته، نرى ما لم نكن نراه ـ ما كانت العادة أو الألفة تحجبه ـ وكأن الزمن يكتب موت الشاعر قصيدة أخيرة، تتوهج كضوء أخير.

في هذا الضوء، يتاح لنا أن ندخل إلى مناخ الشفافية : بين الشاعر والشعر، بينه وبين التاريخ . وفي الحالتين بينه وبين الجوهري الباقي .

في الحالة الأولى نرى الشاعر فيما يتجاوز طرقه التعبيرية وأشكاله لا تعود هذه تبدو إلا هيكلاً علينا أن نكتشف وراءه البنية الحية. أو بتبسيط أكثر، لا تعود إلا ثياباً علينا أن نكتشف وراءها الجسد الحي، ونبض الكيان.

وفي الحالة الثانية، نرى فيما يتجاوز الجزئي والمرحلي .. هل كتب وزناً ؟ هل كتب نثراً ما أشكاله ؟ أسئلة تتراجع لتحل محلها أسئلة أخرى : ما الرسالة التي أعطاها ؟ ما المعنى الذي أسسه ؟ ما الأفق الذي افتتحه ؟ ويكون الشاعر شاعراً بقدر ما يتيح لنا شعره الدخول إلى هذه اللجة ... في هذا ما يؤسس عظمة بدوي الجبل . فأنت سواء أكنت شعرياً معه أو ضده لا تقدر إلا أن تشهد لدوره الكبير ومفارقته الإبداعية . لقد ختم تاريخاً شعرياً بكامله، وهو في الوقت نفسه، وبالقوة نفسها، يفتح للشعر العربي أن ينعطف، فيبدأ بنبض آخر، تاريخاً آخر .

* * *

ظهر الثلاثاء الواقع في ١٨ / ٨ / ١٩٨١م توقف قلب الشاعر الكبير ـ بدوي الجبل ـ إلى الأبد عن عمر يناهز الـ ٧٨ سنة .

obeikandi.com

كان فقيد العربية : سيد الكلمة، وأستاذاً لأجيال الشعراء، ومدرسة في الأسلوب العربي، وعملاق الكلاسيكية المعاصرة .

كان شعره تاريخاً حياً لقضايا الأمة العربية خلال نصف قرن . غنى ثوراتها ، وغنى آلامها ومآسيها وانتصاراتها .

لهذه الأسباب وغيرها اعتبره نزار قباني :

«**السيف اليماني الوحيد المعلق على جدار الشعر العربي. في حنجرته ألف لبيد، و ألف شريف رضي، وألف أبي تمام.. لا تستطيع إلا أن ترفع قبعتك وتنحني باحترام أمام عبقريته .** »

قال عنه محمد مهدي الجواهري :

« **أكبر شاعر في هذا العصر بدوي الجبل .. وشاعر آخر** » !!

أما أمين نخلة فقال عنه :

« **بدوي الجبل أمير الشعراء .. وأوفى الأوفياء** » .

ووصفه الأخطل الصغير - بشارة الخوري - بأنه :

« **علم الشعر العربي في هذا العصر** » .

وها هو اليوم يعود إلى قريته الوديعة ليدفن بجوار مقام والده .. وعلى الطريق الطويلة الموصلة إلى قرية (السلاطة) خرج الرجال، والشيوخ، والنساء، والأطفال، لاستقبال جثمان بدوي الجبل، القادم إليهم من دمشق التي أحبته حتى الموت ... ولم ينس الأهالي أن يرشوا على التابوت الزهور البرية .. والرياحين وارتفع الآذان مدوياً :

الله أكبر ... أشهد أن لا إله إلا الله .. أشهد أن محمداً رسول الله ..

❖ **مولده ونشأته :**

ولد (محمد سليمان الأحمد) في قرية (ديفة) إحدى قرى محافظة اللاذقية . وترعرع في قرية (السلاطة)، وثمة خلاف بين الباحثين على تحديد تاريخ مولده .. غير أنه من الراجح أنه من مواليد ١٩٠٥ هذا التاريخ يؤكده الشاعر نفسه .

نشأ في بيئة دينية وفي بيت علمي عريق، يضع العلم والأخلاق في المكان الأول . كان والده - العلامة الجليل الشيخ سليمان الأحمد عضو المجمع العلمي العربي بدمشق - فقيهاً معروفاً وأديباً كبيراً وشاعراً، وصاحب طريقة صوفية حيث جعل

obeikandl.com

منزله الريفي البسيط مدرسة مفتوحة بالمجان لطلاب العلم، وعشاق اللغة والأدب، والفقه الإسلامي .

كان البدوي أكبر أبنائه الذكور، وقد توفيت والدته وهو في الثانية من عمره، ولم يفتقد وجودها لأنه ما احتفظ منها بذكرى وهو في تلك السن، ولأن زوجة أبيه كانت طيبة القلب . رحيمة شفيقةٌ به ـ على حد قوله ـ .

دخل شاعرنا كتَّاب القرية حيث تعلم القراءة والكتابة في القرآن الكريم على غرار أبناء ذلك الجيل . ثم درس على أبيه وحفظ القرآن في سن مبكرة . كما قرأ عليه شعر قدامى الفحول .. وكانت له صحبة ممتعة مع كتب الأدب .. وأمهات مصادر التراث العربي .. علاوة على كتب فقه اللغة، والفلسفة العربية الإسلامية، وعلم الاجتماع، ومؤلفات « غوستاف لوبون » المترجمة للعربية .

❖ **بداية النضال :**

في الحادية عشرة من عمر « بدوي الجبل » نقله والده إلى مدرسة إعدادية في اللاذقية، وأسكنه غرفة في منزل عائلة كان يثق بأفرادها، حيث اعتنى به متصرف المدينة ـ آنذاك ـ المرحوم (رشيد طليع) . وفي عام ١٩٢٠ دخلت القوات الفرنسية اللاذقية، فترك المتصرف مقره والتحق بالملك (فيصل) الأول بدمشق فعينه متصرفاً على مدينة حماه . وعن هذه الفترة يروي بدوي الجبل في ذكرياته أنه:

« ذات يوم فوجئنا بعسكري يزور والدي موفداً من قبل (رشيد طليع) وحاملاً استدعاء لي إلى حماه، كي يعود ويرسلني إلى دمشق لإنهاء دراستي . ونزل والدي عند رغبة صديقه فانتقلت إلى دمشق حيث التحقت بمدرسة « عنبر » وفيها بدأت أنظم الشعر . على أن بقائي في هذه المدرسة لم يطل، فقد عين الملك فيصل (رشيد طليع) وزيراً للداخلية، فيما كانت ثورة الشيخ (صالح العلي) في بدايتها، وقد صدرت أرادة ملكية بإرسال وفد حكومي رسمي إلى الشيخ (العلي) يفاوضه حول خطوط ثورته ومداها . فتألف الوفد من وزير الدفاع (يوسف العظمة)، ومن (نسيب حمزة) أحد أقطاب الكتلة الوطنية بدمشق . لكن (رشيد طليع) نصح الملك (فيصل) بأن لديه غلاماً لأبيه منزلة كبيرة لدى الشيخ صالح العلي ... فإذا ما رآه في رفقتنا سيسر به ويأنس إليه . وافق الملك (فيصل) على هذا الطلب وانضممت إلى

obeikandi.com

الوفد . ركبنا القطار حتى حماه ... ثم ركبنا عربة خيل نقلتنا إلى بيت الشيخ الجليل (صالح العلي)، الذي أبدى ترحيبه بالوفد بعد أن عرف أسمي وكان جوابه حول المهمة :

أبلغوا الملك فيصل أنني لا ابتغي المال، إنما أريد استبقاء هذا الفتى لدي ! وعاد الوفد إلى دمشق ليطلع الملك فيصل على تفاصيل ما جرى، وقال له الوزير (يوسف العظمة):

((لا حاجة بك إلى إرسال إي كان إلى الشيخ (صالح العلي) سوى هذا الغلام .. وأشار بيده إلي)) .

في هذه البيئة .. ومن خلال أحداث الثورة عاش بدوي الجبل وأخذ ينظم الشعر، وكان والده وهو من كبار الشعراء أيضاً يستمع إلى قصائده، ويوجه له الملاحظات .. وينبهه إلى مواطن الضعف والخلل في قصائده، ليتمكن من إجادة فن الشعر، حتى ملك ناصية اللغة واستجابت له الألفاظ والقوافي، فإذا هو يعد من الشعراء البارزين ولما يتخط سن العشرين .

❖ **الديوان الأول :**

أصدر بدوي الجبل ديوانه الأول وأسمه (البواكير) عام ١٩٢٥ . وقد صدر هذا الديوان عن مطبعة العرفان في صيدا . وكان ثمن النسخة الواحدة ليرة سورية .

أهدى البدوي ديوانه هذا إلى :

« الشهيد الراقد في ميسلون، إلى تلك الروح الكبيرة التي تمردت على العبودية وعلى الحياة » .

ومن المفيد هنا أن نسجل رأي الشاعر بشارة الخوري في ديوان البواكير :

« ما عرفت شاعراً لا يدل شعره عليه كبدوي الجبل . إن شعره أرجح من عمره..؟؟» كذلك كتب عنه الشيخ عبد القادر المغربي ـ عضو مجمع اللغة العربية بدمشق:

« إنه الشاعر الذي تمرد على أسلوب التدرج » ولو أن الأصمعي القائل في شعر أبي العتاهية ((أنه كساحة الملوك يقع فيه الخزف والذهب)) استشف ما سيبدعه بدوي الجبل لقال : هذه ساحة لا خزف فيها : إنها سوق للذهب واللؤلؤ والمرجان.

❖ أنموذج من شعره في هذه المرحلة :

شـــبح المـــوت : مـــا يخيـــف البرايـــا
مـــــن حتـــــوف تعـــــانق الأرواحـــــا؟

وجـــد النـــاس في كؤوســـك سمًّـــاً
غـــير أنـــي وجـــدت فـــيهن راحـــا

فاســقنيها قــد طــال صــحوي ومكثــي
وتمنيـــــــت ســـــــكرة ورواحـــــــا

لا تبـــادر بهـــا وقـــد نـــصل الليـــل
وذرنـــي حتـــى أحيـــي الـــصباحا

وتمهَّـــل حتـــى أودع نـــور الـــشمس
إذ هـــــم أن يلـــــوح فلاحـــــا

ثـــم خـــذني إليـــك يـــا مـــوت جـــذلان
طروبـــــاً إلى الـــــردى مرتاحـــــا

ذاك مـــــصباح صـــــبوتي وشـــــبابي
فتعـــــدل وأطفـــــئ المـــــصباحا

❖ قصة اللقب :

لذلك قصة واردة في مقدمة ديوانه تقول :« كان الشاعر في صدر يفاعته يرسل شعره إلى جريدة (ألف باء) الدمشقية، ولم يكن على قدر من الشهرة تناسب رفعة

obeikandl.com

شعره، وحدث أن هز العالم نبأ المناضل الأيرلندي، ماك سويني، محافظ مدينة كورك الذي جعل احتجاجه على وجود الإنكليز في بلاده صياماً حتى الموت، وسبك صلاة لبني وطنه يرتلونها في كنائسهم ثم قضى صائماً، فنظم شاعرنا تلك الصلاة بالعربية، وبعث بها إلى (ألف باء) مع تحية شعرية لروح الشهيد، وفي اليوم التالي، رأى قصيدته مذيلة بتوقيع (بدوي الجبل) فسعى إلى صاحبها الأستاذ (يوسف العيسى) يسأله عن السبب، فأجابه : « إن الناس يقرؤون للشعراء المعروفين ولست منهم، وهذا التوقيع المستعار يحملهم على أن يقرؤوا الشعر للشعر وإن يتساءلوا : من ذا يكون هذا الشاعر المجيد ؟ وأنت في ديباجتك بداوة، وأنت تلبس العباءة وتعتمر العقال المقصب .. وأنت ابن الجبل » . وتوالت قصائد البدوي ونقلتها صحف في بيروت شادية بها، والناس يتساءلون : عمن يكون ؟ أهو (خير الدين الزركلي) ؟ أم هو (خليل مردم بك) ؟ وهما شاعرا الشام آنئذ، إلى أن دعا صاحب الجريدة نخبة من الأدباء وأعضاء المجمع العلمي إلى احتفال قدم فيه الشاعر : « هو ذا بدوي الجبل، إنه محمد سليمان الأحمد » وراح البدوي يشدو، وهم في نشوة مما يسمعون ... » .

وفي هذا الصدد يقول بدوي الجبل :

« تسمية بدوي الجبل طغت على أسمي . حتى زوجتي تناديني يا بدوي . من المراسم الرسمية ما أخطأ في تدوين أسمي، إذ صدر مرة مرسوم بتعيين أحمد سليمان الأحمد، لا محمد سليمان الأحمد، وزيراً، ولي أخ يدعى أحمد . وهو ينظم الشعر أيضاً . فاقتضى التصحيح كي يتاح لي أن أتناول راتبي » .

❖ **بدوي الجبل وتجربة السجن :**

كان شعر بدوي الجبل جزءاً من القضية الوطنية، وصورة صادقة عن نفسه، إذ كان وإخوانه يناضلون ضد المستعمر، لذلك أتجه في شعره . خلال هذه المرحلة . إلى دعوة الناس للثورة .. وإلى التغني بالأمجاد العربية والأيام الزاهية المشرقة .. فكانت النتيجة أن سجن شاعرنا وهو في سن مبكرة .

يتحدث بدوي الجبل عن ذكرياته قائلاً :

« لدى دخول الفرنسيين إلى دمشق، اضطررت إلى الفرار والتواري عن الأنظار في أماكن عديدة .. غير أن الاستخبارات الفرنسية عرفت بأمري، فاعتقلت في حماه

وكان يحكمها ضابط يدعى (الكابتن ميك) . ولما جيء بي إلى سرايا الحكومة في المدينة، أمر الضابط الفرنسي جنوده بأن يخلعوا نعلي، ففعلوا وانهالوا علي ضرباً لا رحمة فيه ولا شفقة حتى دميت قدماي .. وذات يوم زار قلعة أرواد ـ حيث سجنت ـ الحاكم العسكري لمدينة اللاذقية وكان يدعى (الكولونيل نيجر) فلما شاهدني ولم أكن قد تجاوزت السادسة عشرة من عمري قال :

((**هذا خطأ بل فضيحة !! كيف يحكم على فتى في هذه السن بالسجن ثلاثين عاماً ! ؟**)).

فكانت النتيجة أن أخرجني (الكولونيل) من القلعة على مسؤوليته الخاصة، وأبرق إلى وزارة الدفاع شارحاً الأمر، وطالباً إلغاء الحكم بسبب صغر سن المحكوم عليه . فكان رد المراجع المعنية بالموافقة على إطلاق سراحي مع وقف التنفيذ.

ثم تنقل البدوي بين السجون في حمص، وحماه وأرواد، وبيروت، وكان اعتقاله الأخير سنه ١٩٤٢ في قلعة كسب على الحدود السورية ـ التركية . والسبب قصيدته الوطنية الشهيرة التي مطلعها :

يا سامر الحي هل تعنيك شكوانا

رقَّ الحديد وما رقّوا لبلوانا

خل العتاب دموعاً لا غناء بها

وعاتب القوم أشلاء ونيرانا

أني لأشمت بالجبار يصرعه

طاغٍ ويرهقه ظلماً وطغيانا

هذه القصيدة الشهيرة التي رجت وجدان المواطنين العرب لأنها عبرت عن رفض الجماهير العربية للاحتلال الأجنبي فوق الأرض العربية .

لقد ظل سجيناً ثلاثة أشهر دون أنيس أو جليس أو كتاب، فحاول التخفيف من وطأة الاعتقال، بالتفكير والتأمل وتلاوة القرآن الكريم الذي حفظه غيباً .. وينجح البدوي في تهريب رسالة إلى والده، ليدله على مكان اعتقاله، وأنه ما يزال حياً يرزق .. ويطلب في نهاية الرسالة أن يرسل له خمس ليرات ذهبية، ليقدمها رشوة إلى سجانيه، ليسمحوا له بنظم الشعر على الورق الذي هربوه إلى زنزانته .. ومما قاله بعد خروجه من السجن :

إذا ملكوا الدنيا على الحر عنوة
ففي نفسه دنيا هي العز والكبر

وإن حجبوا عن عينيه الكون ضاحكاً
أضاء له كون بعيد هو الفكر

أنزّهُ آلامي عن الدمع والأسى
فتؤنسها مني الطلاقة والبشر

وأضحك سخراً بالطغاة ورحمة
وفي كبدي جراح وفي أضلعي جمر

أطل على الدنيا عزيزاً: أضمني
إليه ظلام السجن أم ضمني القصر

وما حاجتي للكائنات بأسرها
وفي نفسي الدنيا وفي نفسي الدهر

يريدون أسراري ولليل سره
إذا نقبوا عنه وما للضحى سر

obeikandl.com

ثم جاءت المرحلة الثانية ـ في مسيرته الشعرية ـ مرحلة ما بعد الاستقلال، وفيها كان مؤرخاً لحركة التاريخ العربي الحديث . فما من حدث قومي إلا وله في وصفه قصيدة كبرى لا تكاد تذاع حتى تتناقلها الشفاه للآذان .. مما جعل أحد النقاد يقول عن بدوي الجبل .

« **أنه الشاعر الذي غنت البلاد على قيثارته في أفراحها، ومسحت بشعره الدموع في أحزانها . . .** » .

❖ **قراءة سريعة في يشعر البدوي :**

من عرف البدوي يحمل في موسيقا شعره زفرة خرساء من زفرات فجر الحب الأول، وعرف أن في زوايا نفسه الريانة الفتية، شاعرية تهمس في آذان الحياة أعمق أسرار السعادة، أدرك عذوبة معانيه المنسابة في شعره .. ولعل خير ما عند بدوي الجبل من شعر هي قصائد (الوجدانية) و (الواقعية) و (القومية) ففي الأولى يتسامى إلى عالم الروح السامي ـ عالم الخلود . . وفي الثانية والثالثة يدخل إلى ساحات المعارك، جندياً عربياً ثائراً صريحاً شجاعاً .

يقول في قصيدته الرقيقة التي نظمها أثناء هجرته إلى (فيينا) وأهداها إلى حفيده (محمد) وكان عمره سنة واحدة، وفيها بلغ ذروة الحنان والإنسانية ... إذ يفيء بحبه على الطفولة كلها ويعبر عن انتمائه للإنسانية، ومطلعها :

سلي الجمر هل غالى وجن وعذبا

كفرت به حتى يشوق ويعذبا

وفيها يهتف :

تود النجوم الزهر لو أنها دمى

ليختار منها المترفات ويلعبا

وعندي كنوز من حنان ورحمة

نعيمي أن يغرى بهن وينهبا

يــزف لنــا الأعيــاد عيــداً إذا خطــا

وعيــــداً إذا نـــاغى وعيـــداً إذا حبـــا

كزغــب القطــا لــو أنــه راح صــادياً

ســكبت لــه عــيني وقلــبي ليــشربا

وأثارت القصيدة شاعر الشام الكبير شفيق جبري فأرسل إليه قصيدة مطلعها :

سـل الـشام مـن غنـى حماهـا فأطربـا

ومـــن راح يـــسقيها الـــشراب المطيبـــا

وردّ البدوي وكان في سويسرا بقصيدة رائعة منها:

وفـــاء كمـــزن الغـــوطتين كـــريم

وحـــب كنعمـــاء الـــشام قـــديم

يلـم (شـفيقٌ) كوكبـاً بعـد كوكـب

ونـــسَّق منهـــا العقـــد فهـــو نظـــيم

وفي (جنيف) دفعه الشوق والحنين لتذكر دمشق فنظم قصيدة عذبة .. حزينة حملت اسم (ابتهالات)، أهداها إلى قبور الأحباء في : دمشق وحلب وحمص واللاذقية وبغداد .

لا الغوطتـــــــان ولا الـــــــشباب

أدعـــــو هـــــواي فـــــلا أجـــــاب

opeikandl.com

أيـــن الـــشآم مـــن الـــبحيرة
والمـــــــآذن والقبـــــــاب

وقبـــور أخـــواني ومـــا أبقـــى
مـــــن الـــسيف الـــضراب

هـــذا الأديـــم أبـــي وأمـــــ
ـــــي والبدايــــة والمـــآب

يـــا شـــام عطـــر ســـريرتي
حـــبٌ لجمرتــــه التهــــاب

لـــكِ مهجـــتي وقبولهـــا
منـــك الهديـــة والثـــواب

وتجدر الإشارة إلى أن (الوجدانيات) في شعر بدوي الجبيل موجودة في أبياته كلها.. حبه لوطنه .. حبه لحبيبته في المديح والرثاء . ولكن الوجدانيات تظهر بوضوح أكبر في القصائد التي نظمها بعيداً عن الديار هارباً من وجه المستعمرين، أو مبعداً عنه لظروف سياسية .

ومن وطنياته قصيدة (عيد الجلاء) التي يقول في مطلعها :

الزغاريـــد فقـــد جـــن الإبـــاء
مـــن صـــفات الله هـــذي الكبريـــاء

ثم يصف الفرنسيين في المعركة الأخيرة التي انتهت بالجلاء :

عنـــف بـــاريس شـــجاني أمـــره
بدعـــة الأقـــدار عنـــف الجبنـــاء

قـــد عـــذرناهم علـــى غـــدرهم
واســـترحنا واســـتراح الطلقـــاء

بـــورك الإيمـــان نـــوراً وهـــدى
نعمـــة الله وســـر العظمـــاء

وتجد في قصيدة (دمع ودموع) الرجوع إلى معارك العرب التاريخية الفاصلة فيقول :

قـف علـى (اليرمـوك) وأخـشع جاثيـاً
وتـــيمم مـــن صـــعيد (القادســـية)

تربـــة طيبـــة طـــاهرة
وقبـــور مـــن حيـــا الـــدمع رويـــة

هـــا هنـــا مثـــوى الـــصناديد الأولى
قـــد لـــووا فـــسراً عنـــان الجاهليـــة

والحديث يطول كثيراً عن الشعر الوطني والسياسي الذي أرخ الأحداث التاريخية وعن أرائه في الوحدة والقومية العربية والحرية .. حتى تشعر أنك أمام رجل سياسي سخر الشعر لأغراصه السياسية في الدفاع عن أمته والنضال من أجل

openkanal.com

حريتها وعزتها وكرامتها، كما استخدم (المتنبي) الشعر للوصول إلى أغراضه السياسية ودعوته بطرد العلوج وعودة العرب إلى عزهم ومجدهم .

وللغزل عند بدوي الجبل مكانة خاصة به .. ففي مطلع الخمسينات تناقل الشباب قصائده الغزلية، والتي لا تزال ترددها الشفاه حتى الآن .. وقد قال النقاد عن غزله :

إن بدوي الجبل غلب القدماء ونسي الناس قصائد كثير عزة، وجميل بثينة، وجرير .. وحفظوا قصائد البدوي وخاصة قصائده : إلى خالقة، وسمراء، وشقراء، وغيرها من القصائد .

يجنح بدوي الجبل في شعره إلى الحب العذري، الذي لا قيمة للجسد فيه إنما للروح وهو يقول :

« لم أحب امرأة في حياتي حبي لزوجتي . وإن كانت قد مرت بي فترات حب صادقة، فقد كان حبي ذلك عذرياً لا تشوبه نزعة مادية . والحب في معناه العام ومعناه الخاص نعمة من نعم الله . عقيدتي أن الحياة لا تستقيم إلا به في شموليته، أي على الإنسان أن يحب سواه ويحنو عليه حنو الأخ على أخيه . ففي قصيدتي (خالقة) وهي في رأيي من أجود شعري الغزلي يتجسد معنى ما أقول :

من نُعْمَياتك لي ألف منوعة

وكل واحدة دنيا من النور

رفعتني بجناحي قدرة وهوى

لعالم من رؤى عينيكِ مسحور

أخادع النوم إشفاقاً على حلم

حان على الشفة اللمياء مخمور

ومن قصيدته (أتسألين عن الخمسين) نختار هذه الأبيات :

أتـــسألين عـــن الخمـــسين مـــا فعلـــت

يبلـــى الـــشباب ولا تبلـــى ســـجاياه

في القلـــب كنـــز شـــباب لا نفـــاد لـــه

يعطـــي ويـــزداد مـــا ازدادت عطايـــاه

هـــــذا الـــــسلاف أدام الله ســـــكرته

مـــن الـــشفاه البخـــيلات اعتـــصرناه

ولكن الشاعر الكبير بدوي الجبل ليس بالعاشق السهل الذي يمكن خداعه .. فهو أناني في حبه .. لا يقبل الخديعة ولا المراوغة .. فإن أحب أعطى .. وإن كره حقد .. وإذا حقد حطم ما بناه تحطيم جبار .. وهذا الحب لم نعرفه إلا عند البدوي لأنه الشاعر الوحيد الذي يحب الحب ويحب الحقد عندما يقتضي الأمر ذلك .

وها هو يحطم بيديه حبيبته التي أحبها وعبدها ومنحها الحب كله .. في قصيدته (الدمية المحطمة) :

أيـــا دميـــة أنـــشأتها وعبـــدتها

كمـــا عبـــد الغـــاوون منحـــوت أحجـــار

ســـكبت بهـــا روحـــي وأهـــواء صـــبوتي

وألـــوان أحلامـــي وبدعـــة أطـــواري

ونامـــت علـــى الحلـــم المـــريح بمقلـــتي

وهدهـــدها عطـــري وحـــبي وإيثـــاري

ويـــا دميـــة أنـــشأتها ثـــم حطمـــت

يـــداي الـــذي أنـــشأت تحطـــيم جبـــار

جمالـك مـن سـحري وعطـرك مـن دمعـي

وفتنتـــكِ الكـــبرى خيـــالي وأشـــعاري

رددتـــك للطـــين الوضـــيع ومـــا حنـــا

علـى روضـك الهـاني هبـوبي وإعـصاري

وفارقـــت إذ فارقـــت الطـــين وحـــده

وعـــادت إلى نفـــسي عطـــوري وأنـــواري

* * *

❖ تعريفه للشعر :

يرى بدوي الجبل أن الشعر يرتكز على العاطفة والخيال وترف الروح . وأن في العالم صراعاً بين العقل والقلب، ولا بد من أن ينتهي بانتصار القلب .

وهو لا يؤمن بالشعر الحديث لأن الشعر - على حد تعبيره - لا قديم فيه ولا حديث ..إما أن يكون شعراً أو لا يكون . ويعتقد بدوي الجبل .

« أن شعر أدونيس القديم، يدل على شاعرية ضخمة، لكنه لو وضع خياله الحاضر وتألقه وتأنقه في الأوزان الصحيحة، لكان شاعراً محلقاً غير أنه - للأسف الشديد - لم يفعل ذلك . فهو قد أضاع بشعره طابعه العربي . إذ لا شاعرية فيما يكتب أدونيس، لأن أسلوبه لا يحمل نشوة الشعر » .

❖ عقدة البدوي :

يقول الأستاذ أحمد الجندي : أن هناك عقدة عند بدوي الجبل - أن صح أن تدعى كذلك .. كانت ذات نتيجة إيجابية، لا شاعر يحرص في بعض الأحيان على أن يعبر شعرياً كفارس أو ملك ناهجاً في ذلك نهج (المتنبي) الذي كان يقول :

ففـــــؤادي مـــــن الملـــــوك وإن

كـــان لـــساني يـــرى مـــن الـــشعراء

ويقول بدوي الجبل :

وهـــددني بالـــسجن قـــوم جهالـــة

فتـى العـرب الأمجـاد لا يرهـب الـسجنا

إذا طرقـــوا بـــاب الملـــوك فـــإنهم

بغـير العـوالي الـسمر لم يطلبـوا إذنـا

هذه العقدة كانت أيضاً عند (أبي فراس الحمداني)، وعند الشعراء الفرسان، ولهم مدرسة وخصائص ومواضيع وربما أساليب متشابهة أيضاً، وكأن بدوي الجبل يخشى في أعماق نفسه أن يدخل التاريخ على أنه شاعر فقط، فنراه يفضل أن يكون رفيقاً، لإبراهيم هنانو، وسعد الله الجابري، وفارس الخوري، وغيرهم ... على أن يكون زميلاً لأي شاعر آخر .

وربما يعود هذا الأمر إلى أن بدوي الجبل، جمع بين الشعر والسياسة خلال حياته . ويبقى ديوان شعره مجموعة لتجاربه ولتخليد المناسبات .. يعاد إليه لدراسة عصر الشاعر من جهة نظر شاعر معين .

كذلك فإن شعره مستمد من صميم النفس الإنسانية . إنه حديث المرء عن آلامه وشجونه وغربته وتشرده ومعاناته، وشعوره الصادق النابع من سريرة الشاعر، وما في هذه السريرة وهذا الوجدان من أحزان وآلام .

❖ آخر حديث صحفي لبدوي الجبل:

في الشهر الخامس من عام ١٩٨١ أدلى بدوي الجبل بآخر حديث صحفي له . ونشرته - آنذاك - في جريدة البعث . ولقد وجدت من المفيد أن أنشر معظم فقرات الحديث ثانية نظراً لأهميته .. واستكمالاً للبحث .. بهدف الإحاطة بأسرار شاعرية

بدوي الجبل، وسبر أعماقها، لأنها تملك طاقة أبداعية من العبقرية، تجعل الكاتب يحار في أي النواحي يعالجها في دراسته لها .

ـ يقول عنك بعض النقاد أنك متنبي القرن العشرين ؟

❖ هناك متنبي واحد .. ومن يدعي الآن أنه المتنبي فهو دجال كذاب، مع الأخذ بعين الحسبان أن لكل شاعر أصيل شخصية متميزة خاصة به .

ـ أوقات نظمك للشعر ؟

❖ الشعر يملكني ولا أملكه، قد تنقضي ثلاث سنوات لا أنظم فيها بيتاً واحداً .. وقد أنظم قصيدتين في أقل من شهر واحد .. أحياناً أكون نائماً .. أستيقظ فجأة .. وأطلب من ابني (منير) أن يسجل كتابة الأبيات التي أكون نظمتها . وربما دوّن لي عشرات الأبيات الشعرية خلال ساعة واحدة .

ـ رأيك في الأوزان الشعرية ؟

❖ رأيي أن الأوزان تتسع لكل نزعات النفس البشرية .. كما أنها عذوبة ونغم وعطر وجمال .. أجل إن الأوزان أساور وعقود لا سلاسل وقيود . والذين وضعوها كانوا لا يجيدون القراءة والكتابة، فجاءت أوزانهم سجية للذوق العربي .

ـ سمعت أنك أنهيت كتابة سيرتك الذاتية فماذا تضمنت ؟

❖ نعم أنهيت كتابتها . وتحدثت فيها عن طفولتي .. ونشأتي . . ومصدر ثقافتي .. وعلاقتي بأعلام عصري من شعراء وأدباء وسياسيين . وأفردت حيزاً عن ذكرياتي السياسية . بالإضافة إلى حكايات طريفة جرت حوادثها معي ـ كقصة خلافي مع المطربة الراحلة (أم كلثوم)، وهناك في هذه المذكرات نماذج من رسائل أرسلتها إلي الأديبة (مي زيادة) . وتضمنت ـ هذه المذكرات ـ رحلة التشرد التي عشتها بين بيروت واسطنبول، وروما، وفيينا، وجنيف، منذ أواخر العام ١٩٥٦ وحتى العام ١٩٦٣.

ـ ماذا عن خلافك مع أم كلثوم ؟

❖ في الخمسينات جاءت السيدة أم كلثوم إلى دمشق، وأحيت حفلتها الفنية في مدرسة (اللاييك) وقد دعتني إلى حضور الحفلة فذهبت إلى هناك، على الرغم من أنني لا أحب مثل تلك الحفلات الغنائية الصاخبة .. في اليوم التالي زارتني في المنزل يرافقها السيد (محمود رياض) ـ سفير مصر بدمشق آنذاك ـ وطلبت مني أن أسمح لها

بغناء قصيدتي المسماة (شقراء) التي نظمتها بفتاة سويسرية ومما قلته في تلك القصيدة :

شـــقراء يـــالون حـــسن محبـــب مـــستبد

وقد طلبت سيدة الغناء العربي (أم كلثوم) أن أبدل كلمة (شقراء) بـ (سمراء) فاعتذرتُ عن تحقيق طلبها ، لأن القصيدة بالأساس ألهمتني إياها فتاة سويسرية (شقراء) وليست (سمراء) !! ثم زارتني (أم كلثوم) أكثر من مرة بمنزلي بهدف التراجع عن قراري فباءت محاولتها بالإخفاق .. وخرجت غاضبة من منزلي .

ـ متى قابلت الشاعر أحمد شوقي أول مرة ؟

❖ قابلته في بيروت بالعشرينات، في أحد المقاهي القريبة من فندق (سافواي) وقد أبدى إعجابه بإحدى قصائدي . وكانت من نفس وزن إحدى آخر قصائد شوقي ... وأتذكر أنه قال لي : أن مستقبلك سيكون باهراً في عالم الشعر .

ـ خلال قراءاتي لقصيدة شوقي في رثاء عبد الخالق ثروت توقفت عند البيت التالي :

أبـــا عزيـــز ســـلام الله لا رُســـلٌ

إليـــك تحمـــل تـــسليمي ولا بـــرد

حيث وجدت أنك تقول نفس هذا البيت تقريباً في قصيدتك التي نظمتها برثاء صاحب جريدة الحياة (كامل مروة) إذ تقول :

أبـــا جميـــل ســـلام الله لا كتـــبٌ

إليـــك تحمـــل أشـــواقي ولا بـــرد

ـ كيف تفسر هذا التشابه ؟

❖ لا أتذكر كيف حدث ذلك . ربما يكون الأمر مجرد توارد خواطر . في الطبعة الثانية من ديواني سأستدرك الأمر .

ـ آخر كتاب أعدت قراءته ؟

obeikandl.com

ديوان الشاعر الراحل خليل مطران !!

ـ ماذا بعد ؟

❖ هناك خاتمة للأنبياء وليس هناك خاتمة للشعراء .

ـ كلمة أخيرة .

❖ هذا هو بدوي الجبل الشاعر الكبير الذي انتزعته الحياة من جبال اللاذقية . فمنحته روعة الفجر، وسحر الغروب، ورقة النسائم ، وثورة الرياح، وعناد الصخور، ونقاء الثلج، وصفاء السماء، وعطر الزهور . فجاء مزيجاً مركباً من كل هذا . وقد يتغلب لون من هذا المزيج على طبيعته أحياناً، وقد يختفي . إلا أنه لا يعدم أو يموت . وسيظل شعره دائماً ندياً مخضلاً بالأطايب .والجدة ، والروعة، والخلود .

هاني الخيِّر

obeikandl.com